

الصَّبْرُ

الدرس الثالث

تمهيد

عن مولى أم سلمة أن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله به: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ»، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»، فلما مات أبو سلمة، قالت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إنني قتلها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ» (١).

تعريف الصبر

الصبر هو حبس النفس على أشياء وعن أشياء، وهو ثلاثة أقسام: الأول: الصبر على طاعة الله مثل: الصيام، والحج وغيرها. الثاني: الصبر عن المعصية مثل: الصبر عن كل معصية تشتهيها نفسه. الثالث: الصبر على أقدار الله مثل: موت القريب.

المراد بالصبر على أقدار الله

المراد به: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما.

حكم الصبر

الصبر واجب بإجماع العلماء.

والدليل على هذا:

١ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢).

٢ حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرِ وَهْيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ، وَاصْبِرِي» (٣).

الحكمة من وجوب الصبر

شرع الله الصبر على المصيبة لحكم، منها:

١) التأدب مع الله تعالى في قضائه وقدره، فإن كل ما يصيب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١).

اللوحة
المحفوظة

نخلق الخلق

٢) الصبر يؤدي إلى قوة العزيمة، وحسن التعامل مع المصيبة، والسعي في تلافيتها، ويعجل بالفرج، وأما الجزع فإنه يؤدي إلى ضعف العزيمة، وسوء التعامل مع المصيبة، واستمرارها، وتأخر الفرج.

٣) الصبر طريق إلى رضا العبد عن ربه جلّ وعلا، وإذا رضي العبد بما قدر الله تعالى أورثه ذلك رضا الله تعالى عنه، ومن رضي الله عنه فله السعادة التامة في الدنيا والآخرة.

٤) أن الله جعل الدنيا داراً فيها الأنكاد والمصاعب، ولم يجعلها دار بقاء ونعيم، فكان من الواجب: الصبر على أقدار الله؛ لأن هذه الدار هكذا جعلها الله، وإنما يكون النعيم المقيم في الدار الآخرة، فصار الصبر على الدنيا عوناً على ما يقع فيها من أقدار مؤلمة، وسبباً من أسباب الوصول إلى النعيم في الدار الآخرة.



نشاط

من خلال ما سبق، أبين الحكمة من وقوع المصائب.

إذا وقعت المصيبة بالمسلم، فإنها:

- أ) إما أن تكون ابتلاء واختبار من الله له
- ب) وإما أن تكون عقوبة وكفارة لما فعله من ذنوب

ثمرات الصبر

لقد رَغِبَ الشرع في الصبر، وبيّن له فضائل كثيرة، منها:

١ حصول رحمة الله وهدايته للصابرين قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ (١).

٢ الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢)﴾. **يُؤْجَرُونَ بِلا عَدَدٍ ولا تقدير**

٣ محبة الله تعالى للصابرين، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (٣)﴾.

٤ الصبر خير لأصحابه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (٤)﴾، وقال ﷺ: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٥).



الصبر على أداء الصلوات في وقتها

أذكر مثالي للصبر على الطاعات. **الصبر على الصيام في الحر الشديد**

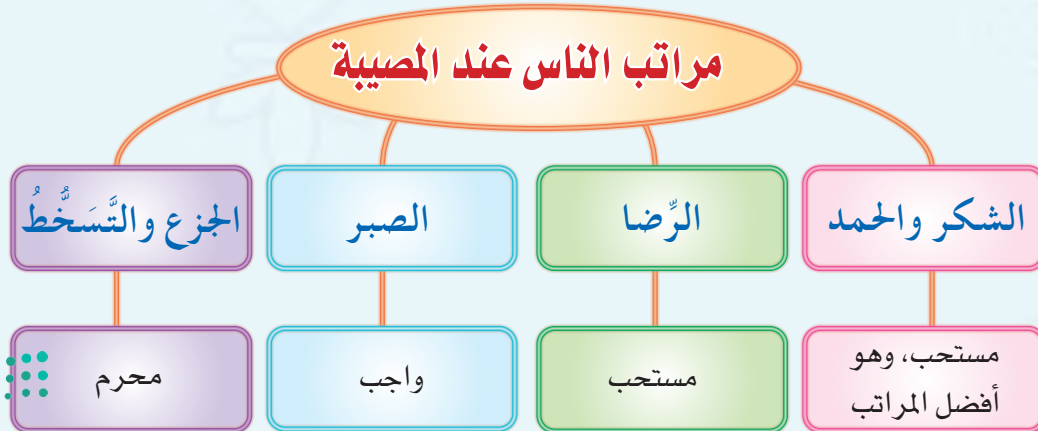
ومثالي للصبر عن المعاصي.

الصبر على عدم استماع الأغاني

الصبر على عدم أكل المال الحرام

مراتب الناس عند المصيبة

الناس حال وقوع المصائب الدنيوية على أربع مراتب:



بِمَ يَكُونُ الصَّبْرُ؟

الصبر على أقدار الله يكون ب: ١- القلب. ٢- واللسان. ٣- والجوارح.

فصبر القلب: بترك الجزع، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ

يَهْدِ قَلْبَهُ﴾^(١)، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

وصبر اللسان: بترك التشكي والندب والنياحة، لأن ذلك يناه في الصبر الواجب وينقص الإيمان

ويعرض الإنسان لسخط الله تعالى قال ﷺ «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٢).

التشكي: إظهار الاستياء والتكدر.

الندب: رفع الصوت بتعداد فضائل الميت ومحاسنه، والتوجع والتفجع على فراقه.

ونهى ﷺ عن النياحة وهي: رفع الصوت بالبكاء على الميت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال: «اِثْنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»^(٣).

والمراد بالكفر هنا: الكفر الأصغر الذي لا يخرج عن الإسلام، ووصفها بالكفر يدل على أنها

من الكبائر.

وصبر الجوارح: بترك لطم الخدود، وشق الجيوب، ونحو ذلك عند المصيبة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(٤).

ندب الميت، وقيل: هو الدعاء
بالويل والشبور

حُكْمُ الْبُكَاءِ مِنْ غَيْرِ جَزَعٍ

البكاء عند المصائب جائز، ولا يناه في الصبر ولا الرضا بقضاء الله.

والدليل على هذا: أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عندما دَخَلَ عَلَى وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ: «إِنَّ

الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه برقم (٤٠٣١)، وحسنه الألباني برقم (١٤٦).

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٤) متفق عليه، البخاري برقم (١٢٩٤)، ومسلم برقم (١٠٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٦٧).

(٥) أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥).

الوسائل المعينة على الصبر

مِمَّا يَعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى الصَّبْرِ مَا يَأْتِي:

١ معرفة أن المصيبة من علامات إرادة الله الخير بالعبد المسلم.

لأن المصائب تكفر الذنوب، ولذا من دلائل إرادة الله بالمؤمن الخير أن يبتليه بالمصائب ويعجل له العقوبة في الدنيا، والدليل على هذا:

أ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلی الله علیه وسلم قال: «مَنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»^(١).

ب حديث أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

وإنما كان تعجيل العقوبة في الدنيا خيراً له؛ لأن المصائب تكفر الذنوب، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليه، وكان تأخير العقوبة للمذنب حتى يوافي به يوم القيامة من الشر؛ لما فيه من اجتماع العقوبة عليه في الآخرة. وإذا صبر المسلم عليها نال ثواب الصابرين.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلی الله علیه وسلم قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٣)، ومعنى الحديث: أن من كان ابتلاؤه أعظم كان ثوابه أكثر.

٢ علامة محبة الله للمؤمن.

يدل على ذلك الحديث السابق: «وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»^(٤).

٣ استصغار المصيبة، بالنسبة لغيرها، لأنه ما من مصيبة إلا وهناك أكبر منها، فيحمد المسلم ربه على أن لم تكن أكبر منها، والنظر في واقع الناس المبتلين يخفف هذا، فكل من ابتلي بشيء فسيجد من ابتلي بما هو أشد منه.

٤ النظر إلى النعم الباقية، من المال، والأهل، والولد، والصحة والعافية، والسلامة في الدين، فمهما كانت المصائب، فما بقي للإنسان أكثر مما فاتته؛ لأن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى.



٥ أن المصيبة لم تكن في الدين.

فمهما ابتلي الإنسان في بدنه، أو ماله، أو ولده، أو غير ذلك من أمور الدنيا، فليحمد الله أن لم يُصَبِّ في دينه كتوحيدِه، وصلاته، وطاعته لربه جلَّ وعلا، واستقامته على دينه، وبُعْدِه عن أحوال الضالين والمنحرفين.

٦ النظر إلى أن عامة المصائب والابتلاءات تأتي عارضة في زمن ثم تنقضي، فما هو إلا صبر يسير بالنسبة للعمر، ويعقبه ثواب كثير، ولينظر الإنسان إلى حاله قبل البلاء، فقد كان في عافيةً زمنًا طويلًا، ولينظر إلى ما بعد البلاء من عافيةٍ وأجر.

٧ معرفة أخبار الصابرين والاطلاع على أحوالهم

من أعظم ما يعين على الصبر: معرفة أحوال المُبْتَلِينَ، وصبرهم، وأشدُّ الناس بلاءً هم الأنبياء ﷺ، فعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: «الأنبياءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا أَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خَفَّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١).

ومن صور صبر الأنبياء ﷺ ما يلي:

١ صَبَرُ رَسُولِنَا ﷺ في مواقف كثيرة، منها: يوم أُحُدٍ، حيث شَجَّ رأسُه، وكُسِرَتْ رِجْلَيْه، وقُتِلَ عمه حمزة رضي الله عنه، وكثير من أجلاء أصحابه رضي الله عنهم، فصبر عليه الصلاة والسلام.

٢ صَبَرُ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام على تكذيب قومه وإيذائهم له، حتى إنهم أوقدوا له نارا عظيمة ثم رموه فيها عليه السلام، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا.

٣ صَبَرُ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام على قومه، حيث آذوه، وعَصَوْهُ، واتهموه بما هو بريء منه، فبرأه الله تعالى مما قالوه.

٤ صَبَرُ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ عليه السلام على فَقْدِ ماله وولده، وما أصيب به من المرض.

٥ صَبَرُ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ عليه السلام على فَقْدِ ولده يوسف عليه السلام سنوات طويلة.

(١) أخرجه أحمد برقم (١٤٨١)، والترمذي برقم (٢٣٩٨).



قال شريح: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني»^(١).

أكتب مع مجموعتي بعض الآثار المترتبة على حمد الله عند المصائب مستفيداً من قول شريح رحمه الله.

استحضار صغر المصيبة



التقويم



حس النفس على أشياء وعن أشياء - واجب

أعرّف الصبر وما حكمه.

أذكر بعض ثمرات الصبر الواردة في القرآن والسنة.

حب الله عز وجل - الحظوة بمعية الله - الحصول على المدد الإلهي - النصر على الأعداء

أذكر مراتب الناس عند المصيبة.

الشكر والحمد - الرضا - الصبر

ما حكم الجزع والتسخط عند المصيبة؟ ولماذا؟

محرم لأنه ينافي الصبر وينقص الإيمان ويعرض الإنسان لسخط الله تعالى

لماذا كانت المصيبة من علامات إرادة الله الخير بالمسلم؟

لأن المصائب تكفر يبتليه الله ليعجل له العقوبة في الدنيا

هل المصيبة من علامات محبة الله للعبد المؤمن؟ مع الدليل.

نعم؛ قال الرسول (وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم

ما معنى قول النبي ﷺ «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّ مِنْهُ»؟

يصب منه أي يبتليه في الدنيا حتى يأتي يوم القيامة مطهراً

